محاضرة بعنوان:

إسرائيل الكبرى في الفكر السياسي:

Greater Israel in political thought

المادة : التاريخ القديم
المرحلة : الأولى

إعداد:
م. د. مجيد جاسم محمد أحمد الشعيبي
أستاذ تاريخ الأديان – رئاسة جامعة الأنبار
كلية التربية للبنات

كان لفقدان اليهود للهامش الحضاري، بسب غياب مساهماتهم في صنع نموذج حضاري خاص بهم خلال الفترة التي أتيح لهم حكم أنفسهم ضمنها، وما نتج عن ذلك من مركب النقص، كان ذلك كله سبباً في اتخاذهم موقفاً سلبياً من الشعوب المبدعة الصانعة للحضارات مع مظاهر عداء علني وتآمر خفي يشكل استمراراً لتآمرهم للقضاء على الكيانات الصانعة للحضارات.

و يمكن القول- بأن اتفاق بين الساسة المتنفذين في الدولة العبرية- على أن العمل لاستكمال مشروع إسرائيل الكبرى هدف كبير واعد، ولكنه بعيد آجل، ولا بد الوصول إليه عبر مراحل في الزمان والمكان. غير أن هناك أتجاهين سائدين ومختلفين في الوسيلة التي يمكن من خلالها الوصول إلى تنفيذ هذا الهدف؛ وأحد هذين الاتجاهين تتبناه (كتلة الليكود) التي تضم بعض الأحزاب اليمينية والدينية؛ والآخر يتبناه (حزب العمل) الذي يضم يساريين ولبراليين.

و يستطيع المراقب لسياسات الاتجاهين- أن يدرك أنهما يتبادلان الأدوار على حسب ما تقتضيه المرحلة في كل ظرف. لكن الحزبين في النهاية يعملان لأهداف مشتركة وإن اختلفت الوسائل.

أما الاتجاه الأول: وهو يتبناه -الليكود- في عمله لصالح ذلك المشروع فيعتمد على المفهوم الهرتزلي في ذلك. فقد قال (هرتزل) وكما جاء في مذكراته: "سنطلب ما نحتاجه من الأرض، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان". وهذا يعني أن باب التوسع مفتوح دائماً.

وقد سار أول رئيس وزراء للدولة العبرية على الخط نفسه، وعبّر عن ذلك بقوله: "حدودنا حيث يصل جنودنا)). أما المرأة، والتي كانت تفتخر بأن يقال لها- (أنتِ أقوى رجل في إسرائيل) وهي (جولدا مائير)- فقد كانت تؤمن بالأسلوب نفسه فيما يتعلق بالعمل لصالح إسرائيل الكبرى، وقد قالت في خطاب لها نشرته صحيفة معاريف الإسرائيلية: "إن إسرائيل يجب أن تكون دولة وقوة عظمى في الشرق الأوسط لها حق التصرف كما تريد".

وجاء بعدها (مناحيم بيجن) فكان صريحاً فصيحاً في التعبير عن النوايا اليهودية تجاه أرض إسرائيل الكاملة فيقول في كتابه (الثورة): "منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأنبياء إسرائيل، وقد سميت فيما بعد فلسطين . .. وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها إلى الأبد".

وهكذا توالت تصريحات الساسة البارزون في الدولة العبرية لتصب في مشروع إسرائيل الكبرى. وإذا كان هذا شأن كتلة الليكود العلمانية- فإن القوى الدينية الأخرى كانت ترى في التفريط بشبر من أرض إسرائيل- هو بمثابة خيانة يستحق صاحبها القتل. فقد كان السبب المعلن لاغتيال رئيس وزراء الدولة العبرية السابق "إسحاق رابين"، كما قال قاتله "عامير"- "أنه خان أرض التوراة".

أما الاتجاه الثاني- فيتركز على فهم خاص لدى بعض ساسة اليهود مؤداه- أن الشعب اليهودي لن يستطيع أن يسيطر على ما حوله من الشعوب إلاّ من خلال الدهاء والتخطيط والتدبير من جهة، ومن خلال القوة من جهة أخرى.

وفي هذا يقول (بن جوريون) مخاطباً الشعب اليهودي: لقد ذكر أنبياؤنا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة أنكم أقل الشعوب جميعاً، ولذلك على شعب إسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق بحيث يستطيع أن يقف أمام شعوب أكبر منه.

وكان حزب العمل يتبنى هذا المفهوم ولا يزال. ولعل أبرز المتحمسين لهذا المفهوم (شمعون بيرز)- تلك الشخصية التي تصدت دائماً لمشروعات امتصاص دماء الشعوب

المحيطة وابتزازها إما بالترغيب عن طريق مشاريع السلام، أو بالترهيب عن طريق الترسانة النووية التي يعد مهندسها وأبوها الروحي.

فقد كان "بيرز" ينادي دائماً بإسرائيل العظمى أولاً، قبل إسرائيل الكبرى، بمعنى أن تستكمل الدولة اليهودية أسباب القوة لتصبح عظمى ثم تستكمل بعد ذلك المساحة لتكون أرضاً كبرى.

إنه بهذا الكلام لا يتخلى عن إسرائيل الكبرى كهدف، ولكنه ينتهج أسلوباً ومفهوماً مغايراً في تحقيق هذا الهدف. فطريق حزب العمل إلى دولة إسرائيل الكبرى يمر عن طريق الدبلوماسية واللياقة التي تستند إلى التهديد الدائم بالرعب النووي الرابض في صحراء النقب.

إن القوى السياسية الكبرى في إسرائيل ليست هي المعنية فقط بذلك المشروع وإن كانت أخفى صوتاً، وأخفت ضوءاً- وهي القوى الدينية. إنها جميعاً تلتقي على ذلك الهدف مع اختلاف في الوسائل أيضاً.

يقول "ايمانويل هيمان" في كتابه "الأصولية اليهودية": لقد تضاعفت الحركات المتطرفة في إسرائيل وزادت راديكاليتها، وهي تدعو لإقامة إسرائيل الكبرى أي دولة الملك سليمان، وهي على استعداد لمحاربة اليهود المنفتحين على الحضارات الأخرى أو الشعوب الأخرى؛ ففي الماضي اغتالوا الكاهن الأكبر (يوناثان الكاهن الأكبر لدى اليهود في العهد الروماني) واليوم اغتالوا رئيس الوزراء إسحاق رابين.

إذاً، فالمتطرفون من دعاة إسرائيل الكبرى هم من اغتالوا "رابين" المسمى في الأوساط السياسية حمامة السلام؛ وكان ذلك بتسويغ من بعض الحاخامات اللذين قرنوا بين الشريعة الكاملة والأرض الكاملة، وصدرت إدانة له بتسليم بعض أراضي الوطن المقدس تنفيذاً لبنود عملية السلام. بل أن بعضهم أعلن أن تخوينه واجب ديني، ووجدوا من الأحكام في الشريعة اليهودية ما يؤيد قتله، وهو وما يطلق عليه (شريعة التتبع)؛ وهذا التشريع الذي يفرض على من شاهد شخصاً يتتبع آخر يريد قتله- أن يتدخل لمنع الجريمة وإنقاذ الضحية ولو بقتل المعتدي.

وبالتوسع في تفسير هذا الحكم التوراتي، وصل بعض المتدينين إلى أن قتل "رابين" أصبح واجباً دينياً، لأنه لم يكن يتتبع شخصاً فقط بل يتتبع الشعب اليهودي كله في نظرهم.

إن الذي قتل "رابين" ليس شخصاً بعينه، بل هو واحد من مجموع الجماعات الدينية المتعصبة للأرض اليهودية مثل تعصبها للشريعة اليهودية. هذه الجماعة تطلق على نفسها (הַשִׂכריין) " السيكارين" أي (حملة الخناجر) وهم يعتبرون أنفسهم امتداداً لجماعة يهودية قديمة لم يكن أفرادها يوجهون ضرباتهم إلى الجنود الأعداء، بل كانوا يوجهونها إلى يهود مثلهم متهمين بالتفريط بالشريعة الإلهية.

وكان مما ساعد هذه الجماعات- موقف الحاخامات؛ فقد قال مدير معهد تعليم الحاخامات القومي: إن رغبة حكومة إسرائيل في التخلي عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له لأنها تتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل بإعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد؛ وهذه الرؤية الدينية التي خانها "رابين وبيرز" باستخفاف من خلال رغبتهما في الوصول إلى التطبيع والاعتراف العالمي- هي محاولة فاشلة ويائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القدر اليهودي الأوحد.

أما القس الأمريكي "بات روبرتسون" فيقول: إن الله يغضب على الذين يقسمون أرضه، لأنه يعتبر هذه الأرض أرضه.

وهكذا، ومن خلال تتبع التاريخ اليهودي- يتضح للمتابع أن اليهود لم يمارسوا في أي دور من أدوار التاريخ حكماً زمنياً قائماً على جنس معين أو قومية ثابتة. فقد كانوا ومنذ عهد النبي موسى وما زالوا حتى اليوم يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين والدين وحده؛ إذ لم يألفوا غير السلطة الروحانية ولم يتقبلوا سواها. فكان حكمهم دينياً وكان حكامهم كهنة في أكثر الحالات؛ ففي عهد القضاة كان الحكام كهنة وأنبياء.

وكذلك كان الوضع في عهد الملوك- فكان الملوك خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة أو الأنبياء. بل أن اليهود لم يظهروا في جميع أدوارهم بأي مظهر من مظاهر البطولة، فكان الخوف والجبن صفة وجبلة دائمة فيهم، وهو أمر ينسحب على أجيالهم كلها منذ عهد موسى وإلى اليوم.

حتى أنهم جعلوا الرب هو المدافع عنهم وهو الذي يقهر أعدائهم نيابة عنهم. فقد ورد في (سفر الخروج/ ١٤:١٤): "יְהוָה, יִלָּחֵם לָכֶם; וְאַתֶּם, תַּחֲרִשׁוּן". "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

وجاء أيضاً في سفر (يشوع/١٠: ٤٢): "וְאֵת כָּל-הַמְּלָכִים הָאֵלֶּה וְאֶת-אַרְצָם, לָכַד יְהוֹשֻׁעַ פַּעַם אֶחָת: כִּי, יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל, נִלְחָם, לְיִשְׂרָאֵל". "وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعةً واحدةً. لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل".

وفي السفر نفسه (يشوع/٢٣: ٣) نقرأ: (٣) וְאַתֶּם רְאִיתֶם, אֵת כָּל-אֲשֶׁר עָשָׂה יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם לְכָל-הַגּוֹיִם הָאֵלֶּה--מִפְּנֵיכֶם: כִּי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם, הוּא הַנִּלְחָם לָכֶם". "وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم. لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم".

أمّا ما يختص بوضع دولة إسرائيل الحالية– فيحاول اليهود أن ينفوا عن كون حكومة إسرائيل حكومة دينية، في حين إن جميع الظواهر الاجتماعية والثقافية وحتى القضائية منها قائمة على الدين.

وفي ذلك تقول الكاتبة الفرنسية "ملرتين مونو": إن دولة إسرائيل تنفي عن نفسها أنها حكومة دينية، ومع ذلك فإن حياة المواطنة فيها مدموغة بالدين؛ فإعلان الاستقلال متشرب بالديانة، كما أن مؤسساتها الدينية وعاداتها وقوانينها الدينية تفرض نفسها على كل شيء، بل لا يوجد سواها في أغلب الأحوال.